ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

الآثار الحضارية لرحلة حج السلطان أسكيا محمد سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م

دراسة في الآثار الحضارية لرحلات حج سلاطين الممالك الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء

د. محمد أحمد الكامل
أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة صنعاء – الجمهورية اليمنية

مُلَخّصْ

مثّل موسم الحج والرحلة إليه من مختلف بقاع الأرض إلى ديار المقدسة في بلاد الحرمين الشريفين في جزيرة العرب، أهم وسائل التواصل والتكامل الحضاري بين أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وكان موسم الحج أحد أبرز عوامل ووسائل انتشار الإسلام وحضارته في أصقاع مختلفة من المعمورة حيث قامت إمارات ودول وممالك وإمبراطوريات إسلامية على إثر الدعوة السلمية عبر التجارة والدعاة، وعبر رحلات الحج وطرقه، لاسيما تلك التي قامت في جنوب شرق آسيا وأفريقيا جنوب الصحراء. وقد اشتهرت رحلات حج قام بها ملوك وسلاطين وأمراء تلك الدول لما كان لها من آثار حضارية كبيرة على صعد مختلفة سواءٌ في جزيرة العرب وطريق الرحلة، أم تلك التي كانت واضحة وجلية في ممالكهم وبين شعوبهم بعد العودة من الرحلة في مختلف الجوانب الحياتية لاسيما في المجال السياسي والحضاري، وهذه الدراسة ستلقي ضوءًا على جوانب من الآثار الحضارية لرحلة الحج التي قام بها أسكيا محمد، سلطان مملكة صنغاي الإسلامية، – إحدى أشهر الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا جنوب الصحراء،– السودان الغربي– والتي قام بها في مطلع القرن العاشر للهجرة في العام (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	١٣	أكتوبر	٢٠١٤
تاريخ قبول النشر:	٠٦	فبراير	٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

دولة صنغاي، رحلة الحج، الحرمين الشرفين، الممالك الإسلامية، إفريقيا الغربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محمد أحمد الكامل. "الآثار الحضارية لرحلة حج السلطان أسكيا محمد سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م: دراسة في الآثار الحضارية لرحلات حج سلاطين الممالك الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء".- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٦. ص٩–١٧.

مُقَدِّمَةُ

الحمد لله القائل: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧]. والقائل: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِير،َ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج: الآيات:٢٧– ٢٩].

مثَّل موسم الحج والرحلة إليه أحد أبرز وسائل الاتصال الحضاري بين شعوب الأمة الإسلامية الواحدة على مختلف مشاربها وأجناسها. وإذا كان الحجُ والرحلة إليه فريضة شرعية وركنا إسلاميا واجبا للقادر عليه، يؤدي الحاج مناسكه الشرعية من فروض وسنن وطاعات متقربًا بها إلى الله عز وجل في أطهر وأبرك بقاع الأرض ؛ فإن منافع دنيوية لا تحصى جوانبها تعود على حياة المسلمين– وغير المسلمين– من هذا الموسم المبارك. وموسم الحج والرحلة إليه مثَّل أيضًا أحد أبرز العوامل التي أسهمت في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في أصقاع مختلفة من العالم، لاسيما تلك الأصقاع التي لم يصلها الإسلام عبر

الفتوح الإسلامية الأولى، وإنما وصلها عبر الدعوة السلمية من خلال التجار والتجارة والدعاة والهجرات المختلفة، وعبر مراحل تاريخية متتالية – منذ القرون الهجرية الأولى حتى اليوم- . وقامت على إثر ذلك إمارات ودول وممالك وإمبراطوريات إسلامية واسعة الأرجاء دخل جل شعوبها في رحاب دين الله الواحد (الإسلام)؛ كما هو الحال في جنوب شرق آسيا- إندونيسيا وماليزيا وبروناي- والدول الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء.

حيث يجد الباحث في تاريخ دخول الإسلام وحضارته إلى تلك المناطق، وكذا التأثيرات الحضارية الوافدة من تلك المناطق وتفاعلها مع المكونات الحضارية للشعوب الإسلامية الأخرى، أن الحج والرحلة إليه من أبرز الوسائط والعوامل التي أسهمت في ذلك. كما أن لرحلات الحج من تلك المناطق البعيدة من الديار المقدسة في بلاد الحرمين الشريفين في جزيرة العرب، خصائص ومظاهر وآثار حضارية مميزة، سواء أكان ذلك على مستوى رحلات الحج العامة أم الرسمية. غير أن رحلات الحج الرسمية التي قام بها سلاطين وملوك وأمراء تلك المناطق كانت أبلغ أثرا في إسهاماتها وآثارها الحضارية، في جوانب متعددة وفي مناطق جغرافية متعددة أيضًا لاسيما بعض الرحلات التي أخذت صدًا كبيرًا في المصادر التاريخية، في وصف موكبها وآثارها التي تركتها على طول خط الرحلة ومحطاتها ذهابًا وإيابًا، وما كان لها من آثار واسعة بعد العودة في مناحي متنوعة وامتدادها لحقب تاريخية طويلة. وورقتنا هذه ستلقي ضوءًا على جوانب من المظاهر والآثار الحضارية لإحدى رحلات الحج الرسمية الشهيرة القادمة من دول أفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء في مطلع القرن العاشر الهجري تلك هي رحلة الحج الشهيرة لأسكيا الحاج محمد بن أبي بكر، سلطان دولة صنغاي الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء، وذلك في موسم سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م). ومن البداهة أن نسبق العرض لجوانب من لآثار الحضارية لهذه الرحلة بتعريف موجز بدولة صنغاي وبشخصية سلطانها (أسكيا محمد) شخصية هذه الورقة وأعظم سلاطين هذه الدولة الأفريقية المسلمة في العصور الإسلامية الوسطى، وذلك على النحو التالي:

أولاً: التعريف بدولة صنغاي والسلطان أسكيا محمد

قبل الولوج في الحديث عن رحلة الحج – موضوع هذه الدراسة- يجدر التمهيد لذلك بالتعريف أولاً بصاحب الرحلة ودولته وذلك على النحو التالي:

١/١- دولة صنغاي:

تتنوع الصفة الرسمية لهذه الدولة في ذكر المصادر التاريخية والمراجع الحديثة لها فتُذكر بـ (سلطنة، وإمارة، ودولة، ومملكة، وإمبراطورية) وكذلك الاختلاف في صيغة ورسم ومخارج الاسم، فتعرف بـ (صنغي، صنغاي، صغي، صونغاي، سنغي، سنغاي، سونغاي، سغي...إلخ)[١] وهي إحدى أشهر الدول أو الممالك أو الإمبراطوريات الإسلامية التي قامت في السودان الغربي" أفريقيا جنوب الصحراء"[٢] بين ضفتي نهري تشاد والنيجر وإلى ناحية بنين وبوركينا فاسو شمال نيجريا ومالي ... وفي واقع الأمر فإن تاريخ تكوين هذه الدولة ومراحلها التاريخية، وكذا الممالك والأسر الحاكمة التي توالت على حكمها، وحتى تاريخ دخول ملوكها وشعبها في الإسلام وخضوعها لنفوذ مملكتي غانا ومالي قبل أن تصبح هي القوة الغالبة على ملكهما فيما بعد، يغلب عليه الغموض والاضطراب التاريخي- الزمني والموضوعي؛ إذ لم تتضح المعالم والمراحل التاريخية لهذه الدولة بجلاء إلا منذ استقلالها عن مملكة مالي[٣].

ويمكن تلخيص ما توافر من معلومات تاريخية حول هذه الدولة فيما يلي: يقول ميغا: "كان لسنغاي أربع ممالك تزدهر تارة، وتسقط أخرى فيسيطر غيرها على مناطقها. وبرغم ذلك كانت أقدمها وأطولها عمرًا"[٤] ويقول: "عرف لهذا الشعب أربع ممالك؛ بل الأولى والثانية ممالك، والأخريان إمبراطوريتان" [٥]. وتتبع – ميغا-الآراء المطروحة حول البدايات والمراحل التاريخية لتلك الدولة والممالك التي تعاقبت على حكمها، والتي يرجعها البعض إلى عدة قرون قبل الميلاد، كالقرن السابع، والرابع، بل مد البعض تاريخها إلى الألف الرابع قبل الميلاد[٦]. وتروي المصادر بأن أصول ملوكها يرجع إلى اليمن جاؤوا إلى السودان الغربي- ربما عبر هضبة الحبشة بعد عبورهم البحر الأحمر- زمن فرعون موسى عليه السلام، وتوالى على المُلك منهم أربعة عشر ملكا في الجاهلية وهم الذين تبدأ أسماؤهم بـ(زا)[٧]. كما تشير بعض المصادر إلى أن هذه الدولة تأسست في القرن السابع الميلادي من قبل قبائل سنغاي التي كانت تقيم على الضفة اليسرى لنهر النيجر، حيث بدأت دويلة صغيرة حين قيامها – شأنها شأن الدول والممالك التي سبقتها في المنطقة "غانا" و"مالي"- وصار شائعا في المصادر التاريخية أن الإسلام قد دخلها في القرن (الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، عندما دخل ملكها حينذاك في الإسلام طواعية[٨] على يد المرابطين على المرجح وعبر النشاط التجاري[٩]. غير أن هنالك مَنْ يرجع دخول الإسلام إلى المنطقة في وقت مبكر يرجع إلى النصف الأول القرن الأول الهجري[١٠].

اشتهر من الأسر الحاكمة لصنغاي في الجاهلية والإسلام أسرة "زا"[١١] ويقال "ضياء"[١٢]، والمعروف من ملوكها واحد وثلاثون ملكًا ؛ أسلم منهم أكثر من سبعة عشر ملكا، منذ القرن الأول الهجري، كلهم ملقبون بـ (زا) واختلف في أصول هذه الأسرة فمن قائل أنها من منطقة طرابلس، وفريق يرى أنها استمرارا للأسرة الحاكمة ذات الأصول اليمنية، وفريق يرجعها إلى منطقة صنغاي السودانية[١٣]. استمر حكم هذه الأسرة- التي اتخذت من "كوكيا" على نهر النيجر الأدنى عاصمة لها، ثم انتقلت إلى "جاو"، أو(كاغ) في شمال شرق مالي- حتى مطلع

القرن الثامن الهجري حين قام "ساكورة" الذي ملك مالي بين عامي (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ/ ١٢٨٥ – ١٣٠٠م) بغزو صنغاي وضمها إلى مملكة مالي، لكنها استقلت[١٤]. وكانت صنغاي قد خضعت من قبل لسيطرة دولة مالي في عهد منسا علي (٦٥٣- ٦٦٩هـ/ ١٢٥٥- ١٢٧٠م)[١٥]، ثم سقطت على يدي منسا موسى[١٦] الذي سيطر عليها لعشر سنوات بين عامي (٧٢٤- ٧٣٥هـ/ ١٣٢٥ – ١٣٣٥م*. ثم نشأت أسرة ملكية جديدة في صنغاي عرف ملوكها بـلقب "سُنِّي أو السُنِّي" أو " سن" أو " شي"[١٧] والتي استمر حكمها من (٧٣٥هـ إلى سنة ٨٩٨هـ/ ١٣٣٥- ١٤٩٣م). حيث استعادت هذه الأسرة السيطرة على مناطق صنغاي وامتد نفوذها إلى مناطق مالي بعد أن حل الضعف بملوك الأخيرة من خلفاء منسا موسى؛ ذلك أن ملوك مالي كان من عادتهم كلما فتحوا منطقة ما أن يتركوا إدارتها لملوكها القدامى ويأخذوا أبناءهم رهائن يقيمون في قصورهم لتجنب ثوراتهم وضمان ولائهم[١٨].

وقد أخذ ملك مالي منسا موسى عند سيطرته على صنغاي، رهائن من بينهم ولدي ملك صنغاي "زا يابسي" :علي بير أوعلي كولن وأخيه "سلمن نار"، فهرب علي كولن وأخوه من عاصمة مالي إلى "كاغ" أو"جاو" وأعلن علي كولن نفسه ملكا على صنغاي واتخذ لقب" سُنِّي"[١٩] سنة (٧٣٥هـ/١٣٣٥م)[٢٠]. وامتنع عن دفع الجزية لمملكة مالي[٢١]. وتمكنت هذه الأسرة من صد غارات قبائل الموسى الوثنية من الجنوب والطوارق من الشمال. ومع صعود سني علي الكبير (٨٦٨- ٨٩٨هـ/ ١٤٦٤- ١٤٩٢م)- الذي عرف بحنكته وصرامته وحسن تدبيره-[٢٢] إلى سدة الحكم اتسع نفوذ هذه الدولة، فقد أسس هذا السلطان جيشا قويا استطاع أن يمد نفوذه إلى سهول غرب أفريقيا، فدخلت في دولته مناطق شاسعة ومدن عدة في غرب أفريقيا من أشهرها تمبكتو وجني وغيرها. وتميز عهده بالتنظيمات العسكرية الإدارية والاقتصادية التي أعطت لصنغاي تميزها الحضاري إلى جانب اتساع رقعتها الجغرافية التي استحقت بأن توصف بأنها إمبراطورية مترامية الأطراف[٢٣]. لذا يعده المؤرخون المؤسس الحقيقي لإمبراطورية الصنغاي الإسلامية، لكن أسرته لم يتحقق لها الاستمرارية في الحكم، فبعد وفاته أو اغتياله سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، خلفه ابنه أبو بكر داع (سني- أو شي- بار) غير أنه لم يدم في الحكم سوى بضعة أشهر إذ كان شخصية ضعيفة، فدخل مواجهة حربية مع محمد بن أبي بكر التوري -أحد أبرز قواد أبيه- والذي يعتقد أن له يد في موت أو اغتيال سن علي الكبير[٢٤].

فقد كان – بحسب السعدي مضمرًا في نفسه الخلافة في الحكم وقام بحيل وأعمال كثيرة من أجل ذلك ثم بدأ بالعمل العسكري حيث هاجم بجيشه أبو بكر داع "سني – أو شي- بار" ابن سني علي، ابتداءً من ثاني ليلة من شهر جمادى الأولى من سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م). ودارت عدة معارك بين الجانبين كان آخرها يوم الاثنين رابع وعشرين من جمادى الآخرة انهزم فيها " سني بار" وولى هاربا خارج المملكة[٢٥]، ليفسح المجال لمحمد بن أبي بكر التوري لاعتلاء عرش السلطة في دولة- أو إمبراطورية- صنغاي الإسلامية، لتدخل صنغاي في عهده وعهد من خلفه من أسرته طورًا جديدا من تاريخها في ظل حكم هذه الأسرة التي عرفت باسم أسرة الأسكيين، أو الأساكي. وامتدت رقعة المملكة في عهد المؤسس حتى سيكو في الغرب والصحراء في الشمال الغربي محققا ما لم يحققه عاهل مالي "منسا موسا"[٢٦]. واستمر حكم هذه الأسرة إلى سنة (١٠٠١هـ/ ١٥٩٢م)، لتدخل دولة صنغاي بعدها- بعد أن حل الضعف والتراجع بها في ظل صراع ونزاع أمراء البيت الحاكم- في إطار التبعية لسلاطين مراكش في بلاد المغرب[٢٧]، ثم خضعت المنطقة للاستعمار الغربي الذي مزق أوصالها فتشتت شعبها في العصر الحديث بين عدة دول أكبر قبائلها في مالي، والنيجر، وبنين، وبوركينافاسو، وغانا.. وغيرها من دول غرب أفريقيا.

٢/١- السلطان أسكيا محمد

(٨٩٨ ـ ٩٣٥هـ/ ١٤٩٣- ١٥٢٨م)

هو كما ورد ذكره في المصادر: أسكيا- أسكي- أبو عبد الله الحاج محمد بن أبي بكر التوري، أو الطوري، الفوتي، السنكلي[٢٨]. ويعرف بمحمد توري، وبممدو توره. ودعي الكوكوي دارًا ومسكنا[٢٩]. وقيل أن أصله يعود إلى أسرة من قبائل صنهاجه من جنوب موريتانيا، نزلت عائلته إلى أرض قبائل الصنغاي إثر اضطرابات في ديارهم وذلك منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٣٠]. سبقت الإشارة إلى أنه كان أبرز قواد سني علي الكبير، واتهم بأنه أحد مدبري اغتياله أو مقتله إن لم يكن هو القائم على ذلك[٣١]. ثم قام بمواجهة حربية مع ابن سن علي– أبو بكر داع أو داعو- فتمكن من التغلب عليه وانتزع منه الحكم ونصب نفسه حاكما لإمبراطورية صنغاي الإسلامية، واتخذ لنفسه لقب "أسكيا" منذ أن آلت إليه مقاليد السلطة لدولة صنغاي، وصار هذا اللقب تقليدًا لمن خلفه من أسرته في السلطة[٣٢]. تعتبر مدة حكمه لدولة صنغاي- الذي استمر ست وثلاثون عاما وستة أشهر[٣٣] وفي رواية تسع وثلاثين سنة، وقيل ثلاث وأربعين سنة[٣٤]، أزهى العصور التاريخية التي مرت بها صنغاي، سواء أكان ذلك على مستوى النفوذ الجغرافي والسياسي، أم على المستوى الحضاري في مختلف جوانبه: الإداري والتنظيمي والثقافي والاقتصادي، والعمراني، وكذا نشر الإسلام عقيدة وحضارة بين المسلمين والوثنيين. فامتد النفوذ الإسلامي إلى منطقة " بحيرة تشاد"، وشمل منطقة السافانا جميعها من الشرق إلى الغرب، فبلغت صنغاي أقصى اتساع لها حتى صارت في القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)، أعظم إمبراطورية إسلامية في غرب السودان، فاقت في سعتها وامتداد أطرافها إمبراطوريتي غانه ومالي الإسلاميتين السابقتين لها والتي قامت واتسعت على

أنقاضهما، حتى قيل: أن أحد طرفيها لا يعلم شيئا عن الطرف الآخر هو في حرب أم في سلام.[٣٥] وفي عهده ساد الأمن والسلام في جميع ربوع هذه الإمبراطورية الشاسعة الأرجاء، وتميز حكمه برقي التنظيمات الإدارية والعسكرية.[٣٦]

وقد أطنبت المصادر في ذكر أعماله ومناقبه ومحامده؛ لاسيما ورعه وعدله وصلاحه وحسن التدبير في السياسة، والعطف والإحسان على المساكين والرفق بالرعية، وحبه للعلم وأهله والتذلل للصالحين وكثرة العطايا لهم، والتزامه بالفروض والنوافل وجهاده في نشر الإسلام. يقول صاحب رحلته إلى الحج محمود كعت: " ... وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين ما لا يحصى. ولا يوجد له مثل لا قبله ولا بعده... وحب العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفروض والنوافل. وكان من عقلاء الناس ودهاتهم والتواضع للعلماء وبذل النفوس والأموال لهم مع القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته. وأبطل جميع ما عليه شي- السلطان من قبله- من البدع والمناكر والظلم وسفك الدماء، وأقام الدين أتم قيام، وأطلق كل من ادعى الحرية من استرقاقهم، ورد كل مال غصبه شي إلى مواليهم. وجدد الدين وأقام القضاة والأئمة، جازاه الله عن الإسلام خيرًا. ونصب في تنبكت- تنبكتو- قاضيًا وفي بلدة جني قاضيًا وفي كل بلد يستحق القاضي من بلاده قاضيًا.."[٣٧]. وجاء لدى السعدي " ففرج الله تعالى به عن المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب. واجتهد بإقامة ملة الإسلام وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد"[٣٨]، وكانت رحلته للحج سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م – كما سيأتي – مليئة بالمواقف التي تؤكد ذلك، ومن الألقاب التي أطلقت عليه: (خليفة المسلمين، أمير المؤمنين، السلطان العادل، القائم بأمر الله، سلطان المسلمين، الأوحد، الأرشد، الأسعد،...)[٣٩] وفي آخر سنوات حكمه أصيب بالعمى. ومع ذلك فإنه استمر في ممارسة الحكم بجدارة لعدد من السنين إلى أن تآمر عليه أحد أولاده – أسكيا موسى- وعزله من الحكم وذلك قبل صلاة العيد في يوم عيد الأضحى لسنة (٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م)[٤٠]. ونفي إلى جزيرة تدعى – كنكاك- خارج المملكة حبس فيها إلى أن أخرجه منها ولده أسكيا إسماعيل، وأسكنه في بعض ديار المملكة، إلى أن توفي في آخر شهر رمضان سنة (٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م)[٤١]. وقبره في مدينة غاو (جاو)[٤٢] يعد اليوم من أبرز المعالم التاريخية والأثرية في مالي غرب أفريقيا.

ثانيًا: رحلة الحج وآثارها الحضارية

منذ وصول إلى الإسلام إلى شعوب أفريقيا الغربية في القرون الهجرية الأولى، ودخولها في رحابه، حرص مسلمو تلك الديار على أداء فريضة الحج كونها ركن واجب من أركان الإسلام ولا يكتمل إسلام الفرد المسلم إلا بتأدية هذه الفريضة لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً، وذلك رغم مشقة السفر ذات المراحل البعيدة والأخطار والمتاعب الكثيرة التي تواجه الحاج وقوافل الحج على طول طريق الرحلة إليه، وفي المقابل فإن طول رحلة قوافل الحج الأفريقية- التي قد تستغرق سنوات- واجتيازها محطات ومراكز وبلدان عديدة إلى أن تحط رحالها في ديار الحرمين الشريفين، ومن ثم تمكث فيها ما شاء الله لها أن تمكث لتقضي مناسكها وتشهد منافع كثيرة لها، فيمكث البعض مجاورا فيها بلا رجعة، ومن يرجع يسلك المسالك ذاتها التي جاء منها، وفي ذلك كله منافع وفوائد وآثار لا تحصى[٤٣]... وقد حرص قادة الممالك والإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي على تأدية هذه الفريضة[٤٤]. ولعل من أشهر رحلات الحج التي سلكت طريق الحج من غرب إفريقيا، تلك الرحلات التي قام بها ملوك غانا، ومالي وأشهرهم السلطان منسا موسى[٤٥] سلطان مالي، وأسكيا محمد سلطان صنغاي. وسنعرض لرحلة الأخير وآثارها الحضارية على النحو التالي:

٢/١- وصف موكب الحج وخط سيره:

كانت مواكب حج سلاطين وملوك الممالك الإسلامية في إفريقيا الغربية، مهيبة بأعدادها البشرية من أمراء ووزراء وعلماء وزعماء قبائل وقادة وأجناد وخدم وعامة، وكذا الدواب التي تحمل الزاد والأمتعة والأثقال والهدايا الكثيرة.. وكان أداء فريضة الحج من أولويات الواجبات أو المهام التي يقوم بها قادة تلك الممالك بعد تمكنهم من تثبيت سلطتهم. فتشير المصادر إلى أن السلطان أسكيا محمد بعد أن بسط يده ومد نفوذه على مملكة صنغاي وثبَّتَ أوضاعها وتخلص من شي بار بن سني علي- ملك صنغاي السابق – عزم على أداء فريضة الحج – في السنة الثانية بعد التسعمائة للهجرة، فخرج في شهر صفر من تلك السنة، بعد ما حصل له ثلاثمائة ألف مثقال ذهبًا[٤٦] وضم موكبه كبار أعيان قبائل وعشائر صنغاي وكبار العلماء والأمراء والقادة في مملكته بالإضافة إلى الجند والخدم[٤٧]، حيث تألف موكبه من ألف وخمسمائة رجل، وخمسمائة فارس، وألف راجل.[٤٨] يقول محمود كعت – وهو أحد أعضاء موكب حج السلطان من شريحة العلماء – "... فلما ملكه الله جميع أرض شي – شي بار- وتحقق تمكنه في السلطنة، عزم على الذهاب إلى بيت الله الحرام للحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم. وتهيأ وخرج في العام الثاني بعد تسع مائة، ومعه من العلماء الأعيان ومعه أيضًا سبعة من فقهاء بلده، منهم ألفا صالح جور، ومور محمد هوكار وهو يومئذ شيخ كبير، وألفا محمد تل، وكاع زكريا المنسوب بسنفه، ومور محمد المنسوب بتنك، والقاضي محمود يندبع، وأنا معه أي المبتلي بالتأليف أنا محمود كعت....، ومن أمراء النواحي ابنه أسكي موسى وهد كركي علي فلن وغيرهم، ومن العبيد الخدام ثمانمائة عبد..."[٤٩].

وبحسب الدالي فإن موكب حج أسكيا محمد شق طريقه".. عبر الأراضي الليبية، مرورا بمدينة غدامس، وطرابلس، والمنطقة

الشرقية من ليبيا إلى أن دخل الأراضي المصرية مرورا بالإسكندرية، والقاهرة إلى الأراضي المقدسة، وهو الخط المعتاد نفسه الذي سلكه الملك الراحل منسا موسى ملك مالي"[٥٠]. وقد أفرزت تلك الرحلة الكثير من القصص والأخبار والنوادر والأساطير التي روتها المصادر التي تحدثت عنها والتي تخرج عن نطاق المألوف والواقع وقد يمتزجا معا[٥١]، ما تشكل هذه المادة اتجاها ومجالا أدبيا قائما بذاته جدير بالاهتمام والبحث العلمي يمكن أن يطلق عليه:" أدب رحلات الحج".

٢/٢- الآثار الحضارية لرحلة الحج:

بالإضافة إلى الهدف الرئيس والواجب الشرعي من القيام برحلة الحج المتمثل بأداء فريضة الحج، فإن ثمة أهداف ودلالات وآثار سياسية وحضارية متعددة الجوانب اكتسبتها هذه الرحلات كما سيتبين في هذه الرحلة على النحو التالي:

(٢/٢) ١- آثار ومواقف في ديار الحرمين الشرفين:

كما سبقت الإشارة فقد أطنبت المصادر في ذكر موكب رحلة حج سلطان مالي منسا موسى، وما أنفقه خلالها من أموال وهدايا على طول خط رحلته، لاسيما في ديار مصر والحرمين الشريفين حيث أنفق آلاف المثاقيل من الذهب هدايا وصدقات وأحباس، ثم هاهي رحلة أسكيا محمد سلطان صنغاي بعد ما يزيد عن القرنين والنصف من رحلة منسا موسى، تحظى بذلك الصيت في مجال الإنفاق الخيري وأوجهه المتعددة. يقول مرافق رحلته محمود كعت : "وتصدق على فقراء الحرمين بمائة ألف دينار ذهبًا، واشترى بمثلها جنانًا وبيوتًا وحبسها على الفقراء والعلماء والمساكين"[٥٢] ويقول في موضع آخر. "... وله خصائص ومناقب في حجه من ذلك أقبل عليه أهل الحرمين الشريفين، واشترى في مكة المشرفة بقعة وبناها دارًا، وحبس الدار على الكعبة الشريفة. وتلقاه هنالك العلماء الأجلاء والصلحاء المرضيين. وعممه شريف مكة وقدمه وولاه وألبسه العمامة الزرقاء وسماه الإمام "[٥٣]. وجاء لدى السعدي. " فتصدق الأمير في الحرمين من ذلك المال بمائة ألف ذهبًا، واشترى جنانًا في المدينة المشرفة وحبسها على أهل التكرور، وهي معروفة هنالك. وانفق بمائة ألف واشترى السلع وجميع ما يحتاج إليه بمائة ألف"[٥٤]. ورغم شهرة حج منسا موسى وما تناقلته الأخبار عبر الأجيال من الإعجاب بمظاهر ذلك الموكب وأبهته... كما يذكر السعدي، ومع ذلك ومن حيث المقارنه بين ما أنفقه وبين ما أنفقه أسكيا محمد، فإن كفة الأخير هي الراجحة يقول"... فورخ -أرَّخ- أهل المشرق مجيئه- أي منسا موسى - ذلك وتعجبوا من قوته في ملكه، ولكن ما وصفوه بالجود والكرم لأنه ما تصدق في الحرمين مع كثرة ملكه إلا بعشرين ألفًا ذهبًا بنسبة ما تصدق به أسكيا الحاج محمد فيهما، وهو مائة ألفًا ذهبًا..."[٥٥].

ومن المواقف التي رواها محمود كعت في ديار الحرمين الشريفين خلال هذه الرحلة قوله "... قيل أنه سمع رجلاً من أهل مكة كان عنده شيء من شعر رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأتيه التجار بألوف من الذهب يطلبون منه أن يغمس تلك الشعر الشريفة المباركة في الماء ويشربون ذلك الماء ويغسلون به. فلما أتى الرجل طلبه منه وأخرجه له وظفر بشعر منها وألقاه في فمه والتقمه، يا له من فوز ما أحرمه ونعمة ما أوفره"[٥٦]. وموقف آخر في المدينة المنورة في الحرم المدني الشريف ما يدل على أهمية موسوم الحج في اتخاذ مواقف وإبرام عهود ومواثيق في هذه الرحاب الطاهرة تأكيدًا لحرمتها ومنعتها واستحالة نقضها، من ذلك قوله " ... وقيل لما دخل شبكة رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل معه بركي منس كور- أحد أعيان القبائل التي انضوت تحت سلطانه في غرب أفريقيا -، وأمسك بمعمدة من الشبكة الشريفة وقال: يا أسكيا محمد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. دخلت في حرمتهم، أطلب منك أشياء، الأولى أن لا تجعل بناتي في الدار إلا بالنكاح. فقال: فعلت. ثم قال: وما الثانية ؟ قال: أن تقف حيث وقفتك في الأمر ولا نهي. فقال: فعلت. وما الثالثة؟ قال: فلا تقتل من دخل في داري ولا من وصلني. فقال: فعلت. فقال: لا بد أن تعطيني العهد على ذلك في هذا المكان الشريف، ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدًا على ذلك. فقال: فعلت. وعقدوا على ذلك".

(٢/٢) ٢- الآثار السياسية والحضارية على مملكته:

كانت لرحلات الحج السلطانية لسلاطين الممالك الأفريقية الإسلامية آثار سياسية وحضارية متعددة الجوانب على المستوى السياسي والحضاري لدولهم ونظام حكمهم، ومن شأن ذلك تعزيز سلطة أولئك السلاطين وإضفاء الصبغة الشرعية على حكمهم، فقد سبقت الإشارة إلى أن السلطان أسكيا محمد قد اصطحب معه في رحلته للحج أعيان القبائل والعشائر في مملكته، وذلك لضمان عدم قيامهم بأي تمرد في حال بقائهم بين عشائرهم أثناء غياب السلطان وتألف قلوبهم، وكذا ليشهدوا ما سيحظى به السلطان من حفاوة وترحاب وإقرار لسلطنته وشرعيتها الإسلامية وذلك في محطات رحلة الحج لاسيما في ديار الحرمين الشريفين، فمصادر أخبار تلك الرحلة تشير إلى حرص السلطان أسكيا محمد على الحصول على هذه الصبغة الشرعية من شريف مكة – أومن خليفة عصره العباسي-، ومن كبار العلماء ... ومما جاء حول ذلك، يقول محمود كعت مؤرخ الرحلة: "... وجعل يسأل العلماء العاملين عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمشي على أقوالهم، رحمه الله، حتى اتفق جميع علماء عصره على أنه خليفة. وممن صرَّح له بذلك الشيخ عبد الرحمن السيوطي، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ شمهروش الجني، والشريف الحسني مولاي العباس أمير مكة، رحم الله الجميع..."[٥٧].. ويقول : " ... ولقي في تلك الأرض المباركة الشريف العباسي، فطلب منه أن يجعله خليفته في أرض سغي، فرضي له بذلك وأمره أن يسلم في أمرته التي هو

فيها ثلاثة أيام ويأتيه في اليوم الرابع. ففعل، وجعله خليفته، وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده، فكان خليفة صحيحًا في الإسلام".[٥٨]

وفي موضع آخر جاء :" ... وأما الشريف الحسني مولاي العباس فكان مع أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أسكي الحاج محمد جالسًا بحذاء الكعبة يتحادثان، فقال له الشريف مولاي العباس: يا هذا أنت الحادي عشر من الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنك جئتنا ملكًا، والملك والخلافة لا يتفقان. فقال له كيف ذلك، يا سيدي؟ فقال له مولاي العباس: لا سبيل إلى ذلك إلا أن تخرج عما أنت فيه. فأذعن له أسكي طوعًا، وطرد جميع الوزراء عنه، وجمع جميع آلات السلطنة وأموالها، وجعل ذلك كله بيد العباس، وقعد عازلاً لنفسه. ودخل مولاي العباس في الخلوة ثلاثة أيام. ثم خرج يوم الجمعة ونادى أسكي الحاج محمد وأجلسه بمسجد البلدة الشريفة مكة، وجعل على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء، وأعطاه سيفًا، وأشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بأرض التكرور، وأن كل من خالفه في تلك الأرض فقد خالف الله تعالى ورسوله"[٥٩]. "... ثم طلب من أمير مكة مولاي العباس أن يعطيه واحدًا من الشرفاء إما أخاه أو ابنه ليتبركوا به، وهذا بعد ما أمرَّه مولاي العباس على أرض التكرور وبين أنه واحد من الخلفاء ألاثني عشر. وقال له مولاي العباس: فسأعطيك إن شاء الله من هو كأنا ولكن لا يمكن ذلك الآن"[٦٠].

ثم تهيأ أسكي الحاج محمد للرجوع، فلما وصل مصر وجد هناك الشيخ عبد الرحمن السيوطي[٦١]، فسأله أسكي عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيأتون بعده. فقال الشيخ: هم اثنا عشر، خمسة منهم بالمدينة، واثنان بمصر، وواحد بالشام، واثنان بالعراق، وقد مضى هؤلاء كلهم، وبقي اثنان بأرض التكرور، أنت أحدهما، ويأتي بعدك الثاني[٦٢]". ويقول السعدي في السياق ذاته:"... ولقي في ذلك الأرض المبارك الشريف العباسي، فطلب منه أن يجعله خليفته في أرض سغي، فرضي له بذلك وأمره أن يسلم في أمرته التي هو فيها ثلاثة أيام ويأتيه في اليوم الرابع. ففعل، وجعله خليفته، وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده، فكان خليفة صحيحًا في الإسلام. ثم لقي كثيرًا من العلماء والصالحين، منهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى، وسألهم عن أشياء من أموره، فأفتوه فيها، وطلب منهم الدعاء، فنال بركاتهم كثيرًا. ورجع في السنة الثالثة ودخل في كاغ في ذي الحجة مكمل السنة، فأصلح الله تعالى ملكه ونصره نصرًا عزيزًا وفتح له فتحًا مبينًا، فملك من أرض كنت إلى البحر المالح في المغرب وأحوازهما، ومن حد أرض بِندك إلى تغز وأحوازهما. فطوّع الجميع بالسيف والقهر"[٦٣]. وصار منذ ذلك الحين يلقب بالحاج أسكيا، واتخذ الألقاب الدالة على تلك المكانة الشرعية التي تبوأها منها: أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين ... الخ، وكذا الشارات، والشعارات، واللباس والمراسيم السلطانية.[٦٤]

وقد ظل أسكيا محمد متشبثا بتلك المظاهر طوال مدة حكمه وبعده، ففي حديث محمود كعت عن السلطان أسكيا إسماعيل- أحد أبناء أسكيا محمد والسلطان الثالث من بعده (٩٤٣-٩٤٦هـ/ ١٥٣٩- ١٥٣٧م) وهو الذي- بحسب الرواية أعلاه - بشر به جلال الدين السيوطي والخليفة العباسي بأنه الخليفة الشرعي من بعده "... ولما أخرج أباه من تلك الجزيرة- أي جزيرة كنكاك التي نفاه إليها ابنه الأول أسكيا موسى- وأسكنه في بعض بيوت دار المملكة أتى بشكارة له وحل ربط فمها وأخرج منها قميصًا وشاشة خضراء وعمامة بيضاء، وأدخل القميص في عنق أسكي إسماعيل وأدخل القلنسوة الخضراء في رأسه وعممه بتلك العمامة، وأدخل في عنقه سيفًا، وقال: هذا قميص قمصني به شريف مكة المشرفة الذي هو أميرها حينئذ وأدخل هذه القلنسوة على رأسي وعممني هكذا بيده المباركة في حضرة جم غفير من قومه من أهالي مكة وغيرهم، وقلدني هذا السيف وقال: أنت أميري ونائبي وخليفتي في إقليمك وأنت أمير المؤمنين. وأنا خليفته وأميره ونائبه. وولاني وملكني. وغصب الملك مني ولدي الفاسق موسى. ثم غصبه منه محمد بنكن، وكلاهما خارجان. وقد وليتك أنا ورددت الخلافة التي قلدني بها الشريف لك، وأنت خليفة خليفة الشريف الذي هو خليفة السلطان الأعظم العثماني"[٦٥].

لقد أعطته هذه الرحلة- بحسب اعتقاده وعلمائه- شرعية في الحكم، وحماسا بعد عودته لنشر الإسلام وتوسيع مملكته وتنظيم شؤونها على أسس حضارية جديدة مستفيدا من تجارب نظم الحكم في مصر والحجاز وبلاد الشام والعراق. وذلك بعد أن التقى بزعماء المسلمين وقادتها وعلمائها في ديار الحرمين الشريفين وفي مصر، وفي المراكز الثقافية في شمال أفريقيا، وقضى مدة في مصر التقى فيها بعلمائها، ومنهم جلال الدين السيوطي، الذي مكث يسأله أسئلة كثيرة شرعية وسياسية ... الخ، واصطحب أحد أقربائه إلى دياره ليتبرك به ويكون من مستشاريه[٦٦]، وتلقى تقليدًا من الخليفة العباسي في القاهرة – أو هو ذاته الذي ذكر في مكة- بخلافته في بلاد السودان. كما اصطحب معه من تجيدا العلامة عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى جاو عاصمة مملكته فكان يسأله عن كل صغيرة وكبيرة ويطلب فتاواه وهذه الأجوبة والفتاوى محفوظة في مجلدات منشورة معنونة بأجوبة المغيلي على أسئلة أسكيا أو العكس[٦٧]. وجاءه من بغداد الشريف أحمد الصقلي في السنة الخامسة والعشرين بعد التسعمائة، مرسلاً من شريف مكة أو من الخليفة العباسي بحسب طلبه في موسم الحج، فكان مساعدا وشريكًا له في إدارة وحكم دولته وفق أسس تنظيمية جديدة قائمة على ما كان سائدا في العراق والحجاز ومصر[٦٨]. فعاد من تلك الرحلة وهو مفعم بالحماس لنشر الإسلام وتنظيم الدولة

على أسس إسلامية حديثة، وتشير المصادر أنه بعد عودته"... نصر السنة، وأحيا طريق العدل، وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره، ومال للسيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الأحوال" [٦٩].

لقد كان موسم الحج مناسبة عظيمة لتعزيز أواصر روح الإخوة الإسلامية، وروح التعاون والتكامل الحضاري الإسلامي، فقد تأثر بما رآه في مصر والحجاز من نظم الحكم والثقافة الإسلامية العربية، فعمل حين عودته على تطبيق ما تعلمه من تجارب تلك المشاهدات، فقلد كثيرا منها في تنظيم مملكته، وأمعن في إحاطة نفسه ببطانة من العلماء الذين كان يحمل لهم كل الاحترام والتقدير فكان إذا دخلوا عليه يجلسهم على سريره، ويأمر ألا يقف أحد إلا للعلماء أو الحجاج إذا قدموا من مكة[٧٠]، وألا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء، وأبطل البدع والمنكرات وأقام الدين والعقائد، واهتم بجامعة تمبكتو التي منحها عناية خاصة حتى ضاهت الأزهر، والقيروان، والزيتونة، وفاس، والنظامية في بغداد، وسار خلفاؤه من بعده على هذه السياسة[٧١].

خاتمة

من خلال ما سبق عرضه في هذا النموذج الذي قدمته هذه الدراسة، نخلص إلى أن رحلات الحج التي قام بها سلاطين وملوك الممالك الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء كان لها آثار حضارية متعددة الجوانب والمجالات: السياسية والاقتصادية والفكرية والدعوية، والاجتماعية والعمرانية ... ومجالات حضارية أخرى.... منها ما كان واضحًا في مناطق خط سير الرحلة وعلى وجه الخصوص في بلاد الحرمين الشريفين وكذا المراكز والمدن والأمصار الأخرى التي مرت بها تلك الرحلات ذهابا وإيابًا، وذلك في مجال النفقات السخية ولأوقاف ولأعمال الخيرية والإنشائية والالتقاء بالعلماء ومن ثم التعليم والتعلم، واكتساب المعارف والعلوم في شتى صنوف العلوم والمعارف واستلهام التجارب الحضارية في مجال الحكم والسياسة والتدابير الإدارية والحصول على الصبغة الشرعية الإسلامية للحكم في مناطقهم، وكذا اصطحاب العلماء والمبدعين إلى بلدانهم للاستفادة منهم في بناء دولهم وممالكهم التي قامت وسارت على النهج والنمط الحضاري الإسلامي... ليتحقق بذلك الهدف الحضاري من الحج المتمثل في المنافع و التكامل والحوار الحضاري الإسلامي بين شعوب العالم الإسلامي على اختلاف أجناسه وألوانه وبيئاته وثقافاته فكانت مواسم الحج التاريخية مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ،ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج: الآيات:٢٧- ٢٩]... صدق الله العظيم.

الهوامش:

(١) حول صيغة الاسم ودلالاته وأصله، انظر: ميغا، هارون المهدي. **إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا.** (بحث منشور في مجلة الدراسات الأفريقية الصادرة عن مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة أفريقيا العالمية – الخرطوم؛ لا توجد معلومات متوفرة عن رقم العدد وتاريخه) ص ٢ وما بعدها؛ الدالي، الهادي المبروك. **التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن التاسع عشر.** ص ٨٩ وما بعدها (الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. ط١. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

(٢) غرب السودان أو السودان الغربي هو الجزء الغربي مما عرف في المصادر الجغرافية والتاريخية الإسلامية ببلاد السودان أي البلاد التي تقطنها الشعوب ذات البشرة السوداء والتي تمتد من ساحل بحر القلزم (الأحمر) شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا يقول القلقشندي" وهي بلاد متسعة الأرجاء رحبة الجوانب ومن حدها من الغرب البحر المحيط الغربي ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن والأمكنة المجهولة الحال شرقي بلاد الزنج في جنوب البحر الهندي ، ومن الشمال البراري الممتدة فيما بين الديار المصرية وارض برقة وبلاد البربر من جنوبي المغرب إلى المحيط" انظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.** (دار الكتب المصرية، القاهرة. ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) ج٥ ص ٢٧٣... وغرب السودان هو المنطقة المدارية التي تقع بين جنوب الصحراء وشمال الغابات الاستوائية تمتد شرقا إلى حدود مرتفعات الحبشة، وغربا إلى المحيط الأطلسي، أو قد تكون المنطقة الممتدة من تشاد وتشمل دول النيجر ومالي وغينيا وبعض أقاليم الكامرون ونيجيريا وغيرها من دول غرب إفريقيا الحالية؛ يقول ابن خلدون: "كان ملك السودان بصحراء المغرب في الإقليم الأول والثاني منقسمًا بين أمم من السودان. أولهم مما يلي البحر المحيط أمة صوصو، وكانوا مستولين على غانة ودخلوا في الإسلام أيام الفتح ثم يلي أمة صوصو أمة مالي من شرقهم وكرس ملكهم بمدينة بني ثم من بعدهم شرقًا عنهم أمة كوكو. ثم التكرور بعدهم، وفيما بينهم وبين النوبة أمة كانم وغيرها."، انظر. ابن خلدون، عبد الرحمن. **تاريخ ابن خلدون**.ضبط . خليل شحادة. مراجعة. سهيل زكار. (دار الفكر. بيروت. ١٤٣١هـ/ ٢٠٠١م). ج٥ ص ٤٩٥ ؛ ويعرف غرب السودان - وعلى وجه الخصوص المناطق التي كانت واقعة تحت نفوذ إمبراطورية غانا ، ثم مالي ، ثم صنغاي- في المصادر الإسلامية أيضا بأرض أو بلاد التكرور نسبة إلى أرض تعرف بالتكرور ومدينتها التكرور أحد أقاليم مناطق أرض السودان الغربي الواقعة في أعالي نهر النيجر بالقرب من ضفافه، حيث دخلت في ظل حكم دولة غانة ثم مالي ثم صنغاي . انظر. القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج٥ص ٢٦٨، ٢٨٢، ٢٩٢؛ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**..(تحقيق. كامل سليمان الجبوري. (دار الكتب العلمية . بيروت. ط١. ٢٠١٠م) ج ٤ ص ٤٩.

(٣) انظر. ميغا. إمبراطورية **سنغاي**. ص ٢ وما بعدها ؛ الدالي. **التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا**.... ص٨٩ وما بعدها.

(٤) ميغا. **إمبراطورية سنغاي**... . ص ١٠.

(٥) المصدر السابق. ص ١١.

(٦) المصدر السابق. ص ١٢ وما بعدها

(٧) السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله. **تاريخ السودان** (طبعة باريس. ١٩٨١م) . ص٤.

(٨) يذكر السعدي أن الملك الذي أسلم هو : زا كُسي وذلك في سنة ٤٠٠ للهجرة.. **تاريخ السودان**. ص ٤.

(٩) عبد الحليم ، رجب محمد. **تاريخ المسلمين في أفريقيا جنوب الصحراء** (سلسلة موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي. شركة سفير. القاهرة. ١٩٩٦م) . ص٣٧.

(١٠) ميغا. **إمبراطورية سنغاي**..ص ١٧.

(١١) يقال أن أصل هذا اللقب من اليمن التي اشتهر ملوكها بذو ... يستند في ذلك المرخون إلى أن الملوك الأوائل لصنغاي من أصل يمني، انظر. السعدي. تاريخ السودان.ص٤. وللبعض تحقيق وملاحظات جديدة حول ذلك . انظر ميغا، هارون المهدي. **تحـريف دلالات الألــقاب والــوقوع في أخطــاء تاريخــية بغــرب أفــريقيا" دلالات ألقاب الملوك في إمبراطورية سنغاي نموذجا** " (بحث منشور في مجلة الدراسات الأفريقية الصادرة عن مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة أفريقيا العالمية – الخرطوم. لا توجد معلومات متوفرة عن رقم العدد وتاريخه) ص ٥٤ وما بعدها.

(١٢) انظر: ميغا. **تحـريف دلالات الألــقاب....** ص ٤٤ وما بعدها؛ هناك خلل في ترتيب الأسر الحاكمة، انظر. الدالي. **التاريخ السياسي...** ص ٩٤؛ ميغا. **إمبراطورية سنغاي**. ص١١ وما بعدها.

(١٣) ميغا. **إمبراطورية سنغاي**. ص١١، ١٨ وما بعدها.

(١٤) ميغا . مصدر سابق. ص ٢١- ٢٢.

(١٥) الدالي. **التاريخ السياسي...** ص ٩٥.

(١٦) انظر. السعدي . **تاريخ السودان** . ص ٧ . ومنسا موسى هو أشهر وأقوى سلاطين وملوك مملكة مالي الإسلامية على الإطلاق حكم خلال المدة من (٧٠٧- ٧٣٧هــ/١٣٠٦- ١٣٣٧م) حيث بلغت في عهده مملكة مالي أوج قوتها ومجدها السياسي والحضاري، وكانت رحلته للحج سنة ٧٢٤هــ من أشهر رحلات الحج لملوك أفريقيا المسلمة ، حيث أطنبت المصادر في وصفها ووصف موكبها الذي رافق السلطان والذي يزيد عن عشرين ألف نسمة- وقيل ستين ألف- من علماء وعبيد ووزراء وجند وجواري، وما حمل هذا الموكب من متاع وما أُنفق فيها من عشرات الآلاف من مثاقيل الذهب والهدايا وما تركته هذه الرحلة من آثار اقتصادية وعلمية وعمرانية وسياسية ، انظر.ابن خلدون. **تاريخ ابن خلدون**. ج٥ ص ٤٤٦؛ السعدي. **تاريخ السودان**. ص٧؛ القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج٥ ص ٢٩٣؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**. وما بعدها (تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١. ١٤٢٠هــ/ ٢٠٠٠م) ص ١٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي . **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. (دار إحياء التراث العربي . بيروت. د. ت) ج ٤ ص ٣٨٣- ٣٨٤ ؛ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. **البداية والنهاية** . ت. عبد الله عبد المحسن التركي.بالتعاون مع مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية (دار الهجرة (هجر للطباعة والنشر. القاهرة. ط١. ١٤١٩هــ ١٩٩٨م) ج١٨ ص ٢٤٠ – ٢٤١. ؛ ابن فضل الله العمري.**مسالك الأبصار** ج ٤ ص ٥٥-٥٩.

(١٧) يشير البعض إلى أن هذا اللقب هو(سُنِّي) أي المقتفي لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حول خصائص هذا اللقب انظر: ميغا. **تحريف دلالات الألقاب....** ص ٥٤ وما بعدها؛ الدالي. **التاريخ السياسي والاقتصادي...** ص ٩٤ هامش ١. السعدي. . **تاريخ السودان**. ص٣.

(١٨) السعدي. **تاريخ السودان** . ص ٦.

(١٩) السعدي . مصدر سابق. ص ٦.

(٢٠) هنالك اضطراب كبير في التواريخ والأحداث . انظر. الدالي . **التاريخ السياسي...** ٩٥ وما بعدها.

(٢١) السعدي. **تاريخ السودان**... ص ٣.

(٢٢) الدالي. **التاريخ السياسي**... ص ٩٩.

(٢٣) السعدي. **تاريخ السودان..** . ص ٧١- ٧٢ ؛ الدالي. **التاريخ السياسي**... ص ٩٨- ١٠٥.

(٢٤) الدالي. **التاريخ السياسي...** ص١٠٥ وما بعدها.

(٢٥) السعدي. **تاريخ السودان...** ص ٧١.

(٢٦) الصادقي، حسن (**أضواء على ممالك غرب إفريقيا وعلاقاتها ببلاد المغرب**) ضمن البحوث التي قدمت لمؤتمر الإسلام في إفريقيا الذي عقد بمناسبة ذكرى مرور ١٤ قرن من الهجرة نظمه مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة أفريقيا العالمية بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. في الخرطوم في الفترة من ٢٦-٢٧ نوفمبر ٢٠٠٦ م) .ص ٤-٥ .

(٢٧) حول المراحل الزمنية التي مرت بها هذه الدولة . انظر: الدالي. **التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا...** ص ٩٥ وما بعدها.

(٢٨) السعدي. **تاريخ السودان**.ص ٧١.

(٢٩) كعت، محمد محمود. **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**. (نسخة غير منسقة بصيغة وورد منشورة على عدد من مواقع الكتب على شبكة النت) ص ٢.

(٣٠) الدالي. **التاريخ السياسي**... ص ١١١.

(٣١) الدالي . مرجع سابق. ص ١٠٩.

(٣٢) اختلف في معناه وبدايات استخدامه، ومناسبة استخدامه. أيضا : فقيل (القاهر) وقيل (الملك) وقيل (أشكيا) أي ليس هو الملك، أولا ينبغي أن يكون هو الملك؛ كما أطلقن عليه بنات الملك سني علي بر بعد أن تغلب ملك أبيهن إثر اغتيال – أو موت -والدهن وانتصاره على أخيهن، فقيل بأنه لما سمع بمقولتهن تلك أعجب بها وأمر ألا يلقب إلا بذلك القول غيضا لهن، وقيل أن هذا اللقب ليس ابتداعا من عهد آسكيا محمد وإنما له جذور ومرجعية تاريخية ولغوية وكان شائعا ومتداولا من قبل تاريخ الصنغاي. انظر. السعدي. **تاريخ السودان**.ص ٧٢ ؛ ميغا. **تحريف دلالات الألقاب**. ص ٦٠- ٦٦؛ عبد الحليم. **تاريخ المسلمين في أفريقيا**. ص ٣٨.

(٣٣) السعدي . **تاريخ السودان**... ص ٨٨.

(٣٤) كعت. **تاريخ الفتاش**... ص ٥٠.

(٣٥) ميغا، هارون المهدي. **إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا** (بحث منشور على شبكة الانترنت مجهول المصدر، نقلا عن ، طرخان، إبراهيم. علي. **إمبراطورية سنغاي الإسلامية**) ص٢٤.

(٣٦) عبد الحليم. **تاريخ المسلمين في أفريقيا جنوب الصحراء**. ص ٣٩.

(٣٧) كعت. **تاريخ الفتاش...** ص ٣٧.

(٣٨) السعدي. **تاريخ السودان**.ص ٧٢.

(٣٩) كعت . **تاريخ الفتاش**..ص٣، ١٦ ،١٨، ٤٦،٧٣ وما بعدها ؛ السعدي. **تاريخ السودان**.ص ٧١، ٧٢.

(٤٠) كعت . **تاريخ الفتاش**. ص ٥٠؛ السعدي. **تاريخ السودان**. ص ٨٠.

(٤١) كعت . **تاريخ الفتاش**... ص ٥٤؛ السعدي. **تاريخ السودان**. ص ٩٤.

(٤٢) أو، قاو، أو " جاو" هي أكبر المدن في شمال مالي تقع على ضفاف نهر النيجر، وتبعد ٣٢٠ كم جنوب شرق تمبوكتو.

(٤٣) يقول الدكتور أحمد علي إسماعيل في ورقة له منشورة على النت بعنوان، "طرق الحج دراسة جغرافية " ص ٦- ٧، وكانت رحلة الحج تستغرق عدة أعوام، تكون في أدناها ثلاثة أعوام بالنسبة لعدد قليل أما العدد الأكبر فكانت رحلته تمتد أحيانًا إلى ربع قرن أو أكثر، وكان المتوسط العام هو ثمانية أعوام، وكانت رحلة الذهاب إلى مكة تتطلب في العادة خمسة أعوام يجمع خلالها الفرد تكاليف رحلته أثناء بقائه في سودان وادي النيل، ثم يمضي أعوامًا ثلاثة إضافية في رحلة عودته إلى بلاده بعد أن يكون قد أدى الفريضة، وكان بعضهم يستقر في السودان ولا يعود إلى غرب إفريقيا، وإذا كان هذا قد حدث في الماضي بنسب قليلة، فإن معدل البقاء في السودان مع بداية القرن العشرين قد أصبح أكثر تكرارًا، ويوجد الآن من أبناء المهاجرين الأوائل جيل ثالث أو رابع وأحيانًا خامس.

(٤٤) ابن خلدون. **التاريخ**. ج ص٥ ٤٤٦.

(٤٥) أطنبت المصادر في وصف رحلة السلطان موسى من حيث موكبها وأخبارها وآثارها، ومما نقله الدكتور أحمد إسماعيل في ورقته السابقة ص ٩ عن تلك المصادر. ما يلي: " ...وقد ذكرت عديد من المصادر رحلة السلطان، "منسا موسى"، وقد خرج من عاصمته مالي على نهر النيجر في عام ٧٢٤ هـ (١٣٢٤م)، وربما يكون قد وصل شمالاً إلى خليج سرت في ليبيا قبل أن يتوجه إلى القاهرة، وكان في موكب ضخم يضم ٦٠٠٠٠ من الجنود ومعه ٥٠٠ من الرقيق الذين يحملون عصيًا مذهبية، ومعه ١٤٠٠٠جارية لخدمته، أما أهم حمولته فكانت مائة من الإبل التي تحمل كل منها ثلاثة قناطير من الذهب بما يجعله في ذلك الوقت أغنى ملوك العالم، وقد استقبله السلطان الناصر محمد بن قلاوون في القاهرة، وقدم السلطان منسا موسى هدية إلى خزانة سلطان مصر قدرها بعضهم بخمسة آلاف مثقال من الذهب، وقدرها ابن خلدون بنحو خمسين ألف دينار، ولم يترك أميرًا ولا رب وظيفة سلطانية إلا بعث إليه بالذهب. وقد أدى إغراق أسواق مصر بالذهب الذي حمله معه وقدمه كهدايا أو أنفقه في القاهرة إلى انخفاض سعر الذهب في مصر وقد أنفق سلطان مالي كثيرًا في الحرمين الشريفين سواء على الحجيج أو أهل الحرمين كذلك، كذلك على القبائل التي كان يمر بها موكبه، حتى أنه احتاج في رحلة العودة إلى الاقتراض من تجار مصر الذين حققوا مكاسب كبيرة من ذلك، حيث أنه كان يعطي الواحد منهم في كل ثلاثمائة دينار سبعمائة دينا ربحًا .على أن من الأمور السياسية الهامة التي ترتبط برحلة "منسا موسى" أنه لم يكن يتحدث مع سلطان مصر إلا عن طريق ترجمان، مع إجادته للعربية، وأنه حين طلب إليه أن يقبل الأرض بين يدي سلطان مصر حين يلتقي به رفض ذلك، وقال إنه جاء للحج لا لغيره وقال : "أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني، ثم سجد" وكان ذلك يعني اعتزازه بنفسه من ناحية وفهمه لصحيح الدين من ناحية ثانية" . وللمزيد حول ترجمة منسا موسى ورحلة حجه أنظر المصادر المشار إليها أعلاه في هامش (١٦).

(٤٦) كعت. **تاريخ الفتاش...** ص ٤١.

(٤٧) السعدي. **تاريخ السودان**. ص ٧٢.

(٤٨) السعدي. **تاريخ السودان**. ص ٧٣؛ الدالي . **التاريخ السياسي والاقتصادي**... ص ١٢٥.

(٤٩) كعت. **تاريخ الفتاش**. ص ٦ ، ٤١. .

(٥٠) الدالي. **التاريخ السياسي**... ص ١٢٦.

(٥١) السعدي. **تاريخ السودان**. ص ٧٢ وما بعدها ؛ كعت. **تاريخ الفتاش**... ص ٤٢ وما بعدها

(٥٢) كعت . **تاريخ الفتاش**... ص ٧.

(٥٣) **تاريخ الفتاش**... ص ٤٤.

(٥٤) السعدي. **تاريخ السودان** . ص ٧٣.

(٥٥) السعدي. **تاريخ السودان**. ص ٧.

(٥٦) **تاريخ الفتاش**... ص ٤٤.

(٥٧) كعت. **تاريخ الفتاش**... ص ٤.

(٥٨) كعت .**تاريخ الفتاش...** ص ٤.

(٥٩) كعت .**تاريخ الفتاش...** ص ٤.

(٦٠) كعت . **تاريخ الفتاش**... ص ٨.

(٦١) هو الإمام الحافظ: جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر السيوطي، أبو الفضل، المولود في القاهرة المصرية ليلة الأحد مستهل شهر رجب سنة ٨٤٩هـ والمتوفى فيها أيضا في سَحَر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ صاحب المؤلفات والمصنفات الكثيرة والمشهورة في شتى العلوم والمعارف الشرعية واللغوية والأدبية وحول ترجمته ينظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** . (دار الجيل بيروت. د . ت) ج٤ ص ٦٥ – ٧٠ ؛ الغزي، نجم الدين. **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**. ط٢. تحقيق . جبرائيل سليمان جبور. (دار الآفاق الجديدة. بيروت. ١٩٧٩م).ج١ص ٢٣١؛ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي . **بدائع الزهور في وقائع الدهور** . (دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. ١٩٦٣م). ج٤ ص٨٣ ؛ العيدروس، عبد القادر بن شيخ عبد الله . **النور السافر عن إخبار القرن العاشر**. تحقيق . أحمد حالو وآخرون. (دار صادر. بيروت. ط١. (٢٠٠م). ص ٩٠ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق. محمود الأرناؤوط . (دار ابن كثير . بيروت. ط١. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ج١٠ ص ٧٤- ٧٨ ؛ الشوكاني، محمد بن علي. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. (دار المعرفة. بيروت. د. ت) ص ٣٢٨- ٣٣٥؛ النبهاني ، يوسف بن إسماعيل. **جامع كرامات الأولياء**..(المكتبة الشعبية . بيروت. ط٤. ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م). ج٢ ص ١٥٦- ١٥٨.

(٦٢) كعت . **تاريخ الفتاش**.. . ص ٤- ٥.

(٦٣) السعدي. **تاريخ السودان**. ص ٧٣.

(٦٤) الدالي. **التاريخ السياسي**... ص ١١٢، ١٥٤، ١٦٠.

(٦٥) **تاريخ الفتاش**. ص ٥٤- ٥٥. ويبدو أن ثمة لبس ربما مصدره النساخ في كلمة "السلطان الأعظم العثماني" فهو مصطلح متأخر عن المرحلة التي يعرض لها المؤلف.

(٦٦) مازالت أسرة من نسل هذا الشخص موجودة اليوم في مدينة تمبكتو ، انظر. الدالي. **التاريخ السياسي**... ص ١٣٢.

(٦٧) انظر. زبادية، عبد القادر. **دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**.. (نشر ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. د. ت) ص ١٣٠- ١٣٥؛ وحول ترجمة المغيلي وعلاقته بالسلطان أسكيا الحاج محمد . انظر. التنبكتي، أحمد بابا. **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**. ص ٥٧٦- ٥٧٩ (منشورات كلية الدعوة . ط١.طرابلس. ليبيا. ١٩٨٩م).

(٦٨) حول ترجمته ظروف مقدمه انظر. كعت . **تاريخ الفتاش**... ص ٨،٤ وما بعدها.

(٦٩) الدالي. **التاريخ السياسي**... ص ١٣٣.

(٧٠) كعت . **تاريخ الفتاش**... ص ٤.

(٧١) عبد الحليم. المسلمون في أفريقيا **جنوب الصحراء**. ص ٤٠ -٤١، الدالي. **التاريخ السياسي**... ص ١٣٢ وما بعدها.